استحسانات واجتهادات مخالفة في الدعوة وإبطالها من القرآن الكريم

د. عبيد بن على بن عبيدي الزبيدي•

ملخـص

يتناول البحث استحسان واجتهادات مخالفة في الدعوة وإبطالها من القرآن الكريم ، يهدف البحث العلمي إلى تحقيق عدة أهداف تتمثل في: التعرف على الاستحسان التي ادخلوها مخالفة للدعوة. والتعرف على المراجع التي تم الاستناد عليها لهذه الاجتهادات. توضيح الخطأ في الاستحسان استنادًا على القرآن الكريم. والتعرف على المنهج الذي يجب إتباعه لإيضاح الأفكار الخاطئة. والتعرف على الأساليب التي يجب إتباعها لحماية الدين والدفاع عنه. تتمثل أهمية في دراسة الاجتهادات والاستحسان المخالفة للدعوة وإظهار الأدلة وأبطالها بالقرآن الكريم، استخدم الباحث في الدراسة العلمية منهج الوصفي التحليلي والمقارن . من أبرز النتائج التي توصلت لها: إن الدعوة إلى الله لا يصلح فيها الاستحسان والاجتهاد إلا ما كان مبنياً عليه الدليل. أنه يجب على الداعية ألا يدعو إلا على علم، ويسعى لاكتساب العلم والمعرفة بما يدعو إليه بملازمة العلماء والأخذ عنهم والدعوة بدعوتهم. إن أهم أسباب الجهل والضرر بالدعوة الدعوة بلا علم وبصيرة. يوصي البحث العلمي بضرورة عمل ندوات بصفة مستمرة لتقوية الوازع الديني لدى الناس، وأيضًا تصحيح صورة الدعوة بأنها لا تحتاج إلى استحسان. ومن أهم النتائج : يوصي البحث بضرورة التقرب إلى مصادر موثوق فيها لأخذ أي معلومات دينية. ضرورة علم الداعي أن وظيفته توصيل الرسالة بشكل سليم كما أنزله الله عز وجل بدون زيادة أو نقص، وأن يعلم الجدال يكون بالحسنى. الاهتمام البحث العلمي بنشر ثقافة الشروط التي يجب توافرها لكي يصبح الشخص داعيًا.

الكلمات المفتاحية: الاستحسان،الاجتهادات،المخالفة في الدعوة،القرآن الكريم.

• الأستاذ المساعد للدعوة والثقافة الإسلامية – جامعة أم القرى-فرع القنفدة– المملكة العربية السعودية.

Abstract

The research deals with the approval and jurisprudence contrary to the invitation and its invalidation from the Holy Qur'an. And to identify the references that were based on these jurisprudence. Clarify the error in istihsan based on the Holy Qur'an. And to identify the approach that must be followed to clarify the wrong ideas. And to identify the methods that must be followed to protect and defend religion. The importance of studying the jurisprudence and approval that contradicts the call and to show the evidence and its invalidators in the Holy Qur'an. In the scientific study, the researcher used the descriptive, analytical and comparative approach. Among the most prominent results that I reached: The call to God is not suitable for approval and ijtihad except on what the evidence is based on. The caller must not call without knowledge, and strive to gain knowledge and knowledge of what he calls for by sticking with the scholars and taking from them and advocating with their call. The most important causes of ignorance and harm to the call is to call without knowledge and insight. Scientific research recommends the necessity of holding seminars on an ongoing basis to strengthen the religious determination of people, and also to correct the image of the call that it does not need approval. Among the most important results: The research recommends the necessity of getting close to reliable sources to take any religious information. It is necessary for the caller to know that his function is to deliver the message in a sound manner as revealed by God Almighty without addition or deficiency, and that he knows the argument is in the best manner. The interest of scientific research in spreading a culture of the conditions that must be met in order for a person to become a preacher.

Keywords: Approvals, jurisprudence, violation of the invitation, the Noble Qur'an.

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد.

فإن الدعوة لعظيم مكانتها وعلو منزلتها قد تولاها الله عز وجل بنفسه، واصطفى لها من هذه الأمة خير خلق الله نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم،وفق منهج قويم لا يتبدل ولا يتغير صالح لكل زمان ومكان لا يجوز لأحد أن يزيد فيه أو ينقص كائناً من كان، ولكن هناك من سن في الدعوة سنناً على غير هدى،ثم استحسنوا أموراً ما أنزل الله بها من سلطان بل ولم يسبقهم إليها أحداً من الصحابة وأئمة السلف، فزادوا وتعصبوا لها بل وحاربوا دونها كل من عارضهم أو أراد أن يبين لهم ما خالفوا به وجعلوه منهجاً يدعون الناس من خلاله، وبالتالي فتتبع تلك الاستحسانات والاجتهادات والرد عليها بالدليل لإبطالها وتقويم أصحابها من أهم الأمور وأعظمها.

وإن هذا الموضوع الذي أقدم له بهذه المقدمة يتناول بيان بالآيات التي أبطلت ما أُدخل في الدعوة من استحسانات واجتهادات مخالفة لا سند شرعي لها،ولم أقف بعد تتبعي ما كتب عن هذا الموضوع على دراسة مستقلة تناولته في الدعوة، وبالتالي يهدف هذا البحث إلى إبطال ما أدخل في الدعوة من استحسانات واجتهادات مخالفة للمنهج الصحيح، والمتأمل في وقتنا الحاضر يجد أنه كلما استحسن قوماً طريقة في الدعوة ساروا عليها واتخذوها منهجاً يدعون إليه دون عرض وتقويم، مما يؤكد أهمية هذا الموضوع؛ منعاً لكثير من التجاوزات والمخالفات وبعثاً على الأخذ بالمنهج الصحيح في الدعوة، سائلاً المولى القدير أن يجعل هذا العملَ خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كاتبه وقارئه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

مشكلة البحث:

بعد الاطلاع على نتائج الدراسات المسحية ، والتحليل الجيد لنتائج التراث العلمي والدراسات السابقة الخاصة بمجال البحث، أمكن التوصل إلى أن المشكلة البحثية تتحدد هنا في التعرف على الاستحسانات والاجتهادات والتي تكون مخالفة للشريعة الإسلامية وأحكام الدعوة، مع الالتزام في هذه الدراسة بإظهار الدلائل الخاصة بهذا الموضوع من القرآن الكريم ، لإن الله تعالى هو الذي تولى الدين ، واختار رسولنا الكريم في تبليغ الدعوة ، فهي مكتملة فالكمال لله عز وجل فقط لا ترغب الدعوة في أي استحسانات أو اجتهادات شخصية ، فمنذ قديم الأزمان وُجدت استحسانات في أمور الدعوة ولم ينزلها الله عز وجل ولكن مع الأخذ في الاعتبار أنها تزايدت في وقتنا الحالي نظرًا لضعف الوازع الديني وكثرة الاجتهادات والآراء الشخصية في الدعوة والدين وهو لم يحتاجهم ، بل أن منهج الله فهو مناسب لكل الظروف والأزمان، فقد امتد الأمر ووصل إلى تعصب أصحاب الاجتهادات وأخذوا يقنعوا الناس بها ؛ فكان لابد من دراسة هذه الظاهرة لأهميتها وإبطال الاستحداثات التي ادخلت بالأدلة .

وبناء على هذا المنطلق يمكن تحديد مشكلة الدراسة من خلال طرح تساؤل رئيسي وهو ما هي الاستحسانات والاجتهادات المخالفة للدعوة؟ وبناء على هذا التساؤل تندرج عدة أسئلة فرعية وهي كالآتي:

١/ ما الدافع وراء هذه الاجتهادات المخالفة للدعوة؟

٢/ ما حكم الدين في هذه الاستحسانات؟

٣/ كيف يمكن الرد عليها بالأدلة القرآنية أو السنة؟

٤/ ما هي أسباب انتشارها على الرغم أنها لم تكن موجودة وتعتبر بدعة؟

٥/ ما الطريقة التي يتم حماية عقول الناس من الاجتهادات والحفاظ على الدعوة؟

أهمية البحث:

يُمثل هذا البحث العلمي أهمية كبيرة تتبلور أهميته في التعرف على الاجتهادات والاستحسانات المخالفة للدعوة وإظهار الأدلة وإبطالها بالقرآن الكريم، فقد يُمثل البحث أهمية في المجال العلمي وإضافة بحثية عن طريق التوصل إلى معلومات جديدة وتناول الموضوع من زوايا مبتكرة تفيد الباحثين في المجال، علاوة على الأهمية من الناحية التطبيقية لمواجهة هؤلاء الأشخاص وحماية الدعوة والدين.

أهداف البحث:

يهدف البحث العلمي إلى تحقيق عدة أهداف تتمثل في:

١/ التعرف على الاستحسانات التي ادخلوها مخالفة للدعوة.

٢/ التعرف على المراجع التي تم الاستناد عليها لهذه الاجتهادات.

٣/ توضيح الخطأ في الاستحسانات استنادًا على القرآن الكريم.

٤/ التعرف على المنهج الذي يجب إتباعه لإيضاح الأفكار الخاطئة.

٥/ التعرف على الأساليب التي يجب إتباعها لحماية الدين والدفاع عنه.

٦/ تقديم البحث العلمي توصياته للقضاء على هذه الظاهرة وحماية عقول الناس.

منهج البحث:

استخدم الباحث في الدراسة العلمية منهج الوصفي التحليلي والمقارن،والذي يعتمد على تحليل المعلومات من خلال دراسة الاجتهادات المخالفة للدعوة وعقد مقارنة بينها وبين النصوص الحقيقية في القرآن الكريم، مع عرض نماذج لآراء العلماء، للحصول على معلومات صحيحة واستنتاج معلومات يمكن تطبيقها في الواقع الفعلي.

خطة البحث :

اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وستة مباحث، وذلك على النحو الآتي:

تمهيد:

المبحث الأول: الأمر بالدعوة إلى الله.

المبحث الثاني: بيان أن الدعوة لا تكون إلا بالعلم.

المبحث الثالث: الأمر بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

المبحث الرابع: بيان مشروعية الدعوة إلى الله بالقصص والأمثال.

المبحث الخامس: الأمر بدعوة الأقارب.

المبحث السادس: النهي عن الجدال.

الخاتمة. والمصادر والمراجع.

تمهيد:

لا شك أن الدعوة من أعظم أنواع العبادات فلا يصح فيها الابتداع والأحداث كما لا يصح فيها أيضاً الاستحسان والاجتهاد الذي لا سند لهمن كتاب أو سنة أو إجماع.

قال الشيخ العلامة د. صالح الفوزان -حفظه الله-: العبادات لا يصلح أن يكون فيها شيء من الاستحسانات البشرية، أو استدراكات العقول، أو غير ذلك، مهما حسُنت نية الفاعل ما دام أنه بدعة [1].

ومن المناسب قبل أن ندلف إلى الكتابة والحديث عن هذا الموضوع نورد كلاماً نفيساً للعلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله وذلك لبيان المقصد والمفهوم بقوله: واعلم أن البدع التي ستمر بك على نوعين: بدع وجدت من نص على بدعيتها من أهل العلم في كتبهم، فهذا العَلامة على عزوها إليهم، وهذا النوع هو الأكثر، والآخر: بدع لم أجد من نص على بدعيتها ولكن السنة أو القواعد العلمية الأصولية تحكم ببدعيتها، فهذا الدليل عليه خلوه من العزو، ومرجع هذه البدع إلى أمور:

الأول: أحاديث ضعيفة لا يجوز الاحتجاج بها ولا نسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ومثل هذا لا يجوز العمل به عندنا على ما بينته في مقدمة صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وهو مذهب جماعة من أهل العلم كابن تيمية وغيره.

(١) إعانة المستفيد، د. صالح الفوزان، مؤسسة الرسالة، الرياض، ط:٣، ١٤٢٣هـ. (٦١/١).

الثاني: أحاديث موضوعة، أو لا أصل لها، خفي أمرها على بعض الفقهاء فبنوا عليها أحكامًا هي من صميم البدع ومحدثات الأمور.

الثالث: اجتهادات واستحسانات صدرت من بعض الفقهاء خاصة المتأخرين منهم، لم يدعموها بأي دليل شرعي، بل ساقوها مساق الأمور المسلمات، حتى صارت سنن تتبع، ولا يخفي على المتبصر في دينه أن ذلك مما لا يسوغ اتباعه إذ لا شرع إلا ما شرعه الله تعالى وحسب المستحسن -إن كان مجتهدًا- أن يجوز له هو العمل بما استحسنه وألا يؤاخذه الله به، أما أن يتخذ الناس ذلك شريعة وسنة فلا، ثم لا؛ فكيف وبعضها مخالف للسنة العملية.

الرابع: عادات وخرافات لا يدل عليها شرع ولا يشهد لها عقل، وإن عمل بها بعض الجهال واتخذوها شرعة لهم، ولم يعمدوا من يؤيدهم ولو في بعض ذلك ممن يدعي العلم ويتزيا بزيهم، ثم ليعلم أن هذه البدع ليست خطورتها في نسبة واحدة، بل هي على درجات بعضها شرك وكفر صريح وبعضها دون ذلك، ولكن يجب أن نعلم أن أصغر بدعة يأتي الرجل بها في الدين هي محرمة بعد تبين كونها بدعة، فليس في البدع كما يتوهم البعض-ما هو في رتبة المكروه فقط، كيف ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار))[1]. أي صاحبها، وقد حقق هذا أتم تحقيق الإمام الشاطبي في كتابه العظيم الاعتصام ولذلك فأمر البدعة خطير جدًا ولا يزال أكثر الناس في غفلة عنه، ولا يعرف ذلك إلا طائفة من أهل العلم..[2].

ولهذا فما أُدخل في الدعوة من استحسانات واجتهادات لا سند شرعي له فلابد أن ننظر فيه ونتأمل؛ منعاً لإحداث ما لم يشرع، وبالتالي ما كان موافقاً لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه من الصحابة وأئمة السلف رضي الله عنهم أجمعين أخذنا به، وما عدا ذلك رددناه.

(١) مسند الإمام أحمد، كتاب: مسند الشاميين، باب: حديث العرباض بن سارية عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، رقم الحديث: (١٧١٤٦)،ج ٢٨، ص:٣٧٥، وسنن أبي داود، كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة، رقم الحديث: (٤٦٠٧)، ٥/ ١٢، وسنن الترمذي، كتاب: العلم عن رسول الله ، باب: الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم الحديث: (٢٦٧٦)، ٤/ ٤٠٨، وقال الألباني: حديث صحيح. انظر: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ،ج ٨، ص:١٥٠، وانظر: صحيح الترغيب والترهيب، الألباني، ١/ ١٠.

(٢) انظر: مناسك الحج والعمرة، ناصر الدين الألباني، دار المعارف، ط: ١، بدون سنة الطبع، ص:٤٣-٤٤.

المبحث الأول

الأمر بالدعوة إلى الله

قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

في هذه الآية الكريمة أمر من الله عز وجل بالدعوة إليه لمن أراد الفلاح ،والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه [١].

وفيها ابطال قول من يقول أن الدعوة ليست بواجبة، وأن ما على المرء إلا خاصة نفسه، وأن الدعوة تعد تدخلاً في شؤون الناس.. إلى غير ذلك من الأقوال والآراء المحدثة في هذه المسألة ،كمن يتأول بعض النصوص الشرعية تأويلاً خاطئاً ويفهمها فهماً مجانباً للصواب والحق، ومن المعلوم أن النصوص الصريحة الصحيحة لا يعارض بعضها بعضاً.

قال العلامة الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله : فقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الدعوة إلى الله، وأنها من الفرائض، والأدلة في ذلك كثيرة، منها قوله سبحانه: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ومنها قوله جل وعلا: ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِين ﴾ [النحل: ١٢٥].

ومنها قال تعالى: ﴿ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِين ﴾ [القصص: ٨٧]، ومنها قوله سبحانه: ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِين ﴾ [يوسف: ١٠٨]، فبين سبحانه: أن أتباع الرسول -صلى الله عليه وسلم-

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، ٢/٧٨.

هم الدعاة إلى الله، وهم أهل البصائر، والواجب -كما هو معلوم- هو اتباعه والسير على منهاجه عليه الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وصرح العلماء بأن الدعوة إلى الله فرض كفاية بالنسبة إلى الأقطار التي يكون فيها الدعاة، فإن كل قطر وكل إقليم يحتاج إلى الدعوة وإلى النشاط فيها، فهي فرض كفاية إذا قام بها من يكفي سقط عن الباقين ذلك الواجب، وصارت الدعوة في حق الباقين سنة مؤكدة وعملا صالحا جليلا، وإذا لم يقم أهل الإقليم أو أهل القطر المعين بالدعوة على التمام صار الإثم عاما؛ لأنهم تركوا الواجب، أما بالنظر إلى عموم البلاد، فالواجب أن يوجد طائفة منتصبة تقوم بالدعوة إلى الله جل وعلا في أرجاء المعمورة تبلغ رسالات الله، وتبين أمر الله بالطرق الممكنة، فإن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد بعث الدعاة وأرسل الكتب إلى الناس وإلى الملوك والرؤساء، ودعاهم إلى الله [(١)].

فكل واحد من هذه الأمة يجب عليه أن يقوم من الدعوة بما يقدر عليه، إذا لم يقم به غيره، فما قام به غيره سقط عنه، وما عجَز لم يُطالب به [(٢)].

ومن الأدلة من السنة والتي تدل على وجوبها فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((بلِّغُوا عنِّي ولو آية، وحدِّثُوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمِّدًا فَلْيتَبَوَّأ مقعده من النار))[(٣)].

ومما سبق يتضح لنا أن الدعوة إلى الله واجبة وأن من يؤول فهم بعض النصوص الواردة في بيان حكمها وما يتعلق بها إلى فهمه القاصر فقد أخطأ وأحدث قولاً مخالفاً للصواب.

(١) نشرت في مجلة الدعوة في العدد (١٤٦٩) بتاريخ ١٤١٥/٦/٢٨ هـ. (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ٨/٤٠٨).
(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: ابن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، بدون رقم الطبعة، ١٤١٦هـ، ١٥/١٦٦.
(٣) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، البخاري، تحقيق: محمد محمد بن زهير الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم الحديث:(٣٤٦١)، ٤/١٧٠.

المبحث الثاني

بيان أن الدعوة لا تكون إلا بالعلم

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

في هذه الآية الكريمة يأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول للناس أن دعوته مبنية على علم والبصيرة، وفيها بيان وجوب علم الداعية بما يدعو إليه وألا يدعو إلا على علمإن أراد متابعة النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته.

وفي الآية إبطال لما أحدثه دعاة الجهالة والضلال واستحسنوه من الدعوة بلا علم وبصيرة.

والمقصود أي: على علم ويقين وبرهان شرعي وعقلي فيما أدعو إلى فعله وما أدعو إلى تركه، وفي أسلوب الدعوة وحال المدعوين، وسلوك الطريق الصحيح في ذلك [١].

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله لا يجوز أن تدعو بلا علم أبداً؛ لأن ذلك فيه خطر. خطر عليك أنت، وخطر على غيرك [٢].

وقال أيضاً: وأما الدعوة بلا علم فإنها دعوة على جهل والدعوة على جهل ضررها أكبر من نفعهما؛ لأن هذا الداعية قد نصب نفسه موجهاً ومرشداً، فإذا كان جاهلاً فإنه يكون بذلك ضالاً مضلاً [٣].

وقال إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله -: قاعدة الضلال: القول على الله بلا علم [٤].

(١) البصيرة في الدعوة إلى الله، عزيز فرحان العنزي، تقديم: صالح آل الشيخ، دار الإمام مالك، أبو ظبي، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ، ص: ١٣.
(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، دار الوطن، الرياض، بدون رقم الطبعة، ١٤٢٦هـ، ٢/٣٤٨.
(٣) زاد الداعية إلى الله، ابن عثيمين، دار الثقة، مكة المكرمة، ط: الأولى، ١٤١٢هـ، ص: ١١.
(٤) مسائل الجاهلية، محمد بن عبد الوهاب، دار طويق، الرياض، ط: الثانية، بدون سنة الطبع، ص: ٣٥١.

وقال ابن كثير – رحمه الله : – الطريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه أهل فصاحة وعلم و حجج و الواجب أن تتعلم من دين الله ما يصير سلاحا لك فجند الله هم الغالبون بالحجة و اللسان كما أنهم الغالبون بالسيف و السنان و إنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق و ليس معه سلاح [1].

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٤/ ٤٠.

المبحث الثالث

الأمر بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة

قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

في هذه الآية يأمر الله تعالى بالدعوة إلى سبيله بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، وفيها بيان أن الهداية والضلال بيده سبحانه وعلمه،

وأن الدعوة لا تكون بالجهالة والحمق ولا بالغلظة والسوء ولا بالمهاترة والمراء، كما يفعله كثير ممن ينتسب إلى الدعوة جماعة كانوا أو أفرادا؛ حيث إن الدعوة دعوة إصلاح لا إفساد.

قال السعدي رحمه الله -: أي: كل أحد على حسب فهمه وقوله وانقياده، ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإذا انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.. (١).

قال الإمام ابْنُ القَيِّمْ -رَحِمَهُ الله- : جعل الله سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق:

١. المستجيب القابل الذكي الذي لايعاند الحق ولا يأباه يدعى بطريق الحكمة.
٢. القابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر يدعى بالموعظة الحسنة وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.
٣. المعاند الجاحد يجادل بالتي هي أحسن (٢).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ، ص: ٤٥٢.

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العالمية، بيروت، بدون رقم الطبعة، بدون سنة الطبع، ص: ١٥٣.

ولهذا فمن يتخذ هذه الآية منهجاً في دعوته مستخدماً الأساليب الواردة فيها كما أمر الله تعالى وكان يدعو رسوله – صلى الله عليه وسلم – تحققت له الأهداف التي كان يرجوها وفق منهج قويم، وبذلك يسلم من استحسان أساليب دعوية تضر به وبدعوته.

كما أبطلت هذه الآية الضلالات والحماقات التي أدخلها وارتكبها أولئك الجهال في الدعوة والتي تسببت في تشويه صورة الإسلام والدعوة إليه كدعوة الناس بالقوة والقتل والتخويف والكراهية.

المبحث الرابع

بيان مشروعية الدعوة إلى الله بالقصص والأمثال

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

في هذه الآية الكريمة ومثيلاتها في القرآن بيان لمشروعية أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله يمكن للداعية أن يستخدمه لإيصال دعوته وترغيب الناس فيها، وهو ضرب الأمثال وقص القصص لما له من تأثير بالغ في نفوس المدعوين، وفي الآية أيضاً إبطال للدعوة بالقصص الخيالية والغرائب أو ما لأجله ورد ذم القصاص ممن توسع في ذكرها، ولو كان ذلك بقصد استمالة المدعو.

قال ابن الجوزي – رحمه الله –: ذُم القُصَّاصُ لأن الغالب منهم الاتساع بذكر القَصَص دون ذكر العلم المفيد، ثم غالبُهم يُخَلِّط فيما يورده، وربما اعتمد على ما أكثره محال [(١)].

وبالتالي متى خرجت القصص والأمثال عن الخيالات والغرائب، واكتفى الداعية بما في القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية وما ذكره السلف الصالح من القصص والأمثال سلم من الوقوع في الإحداث في الدعوة ما ليس منها.

يقول ابن القيم رحمه الله–: ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة: التذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار...وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر وتحقيره [(٢)].

(١) انظر: تلبيس إبليس، ابن الجوزي، دار الفكر، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١هـ، ص: ١١١.
(٢) البرهان في علوم القرآن: الإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي ١ /٤٨٧، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط:بدون، ١٣٩١هـ١٩٧٢م.

كما زخرت السنة النبوية بالأمثال التي يقرب بها المعنى، ويثبت في نفس المدعو، كقوله – صلى الله عليه وسلم –: ((مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع، من حيث أتتها الريح كفأتها، فإذا اعتدلت تكَفَّأ بالبلاء، والفاجر كالأرزة صماء معتدلة؛ حتى يقصمها الله إذا شاء))[1].

في هذا الحديث جاء ضرب المثل مبيناً: أن المؤمن حيث جاءه أمر الله أنطاع له، فإن وقع له خير فرح به وشكر، وإن وقع مكروه صبر ورجا فيه الخير والأجر، فإذا اندفع عنه اعتدل شاكرا، والكافر لا يتفقده الله باختياره، بل يحصل له التيسير في الدنيا، ليتعسر عليه الحال في المعاد، حتى إذا أراد الله إهلاكه قصمه فيكون موته أشد عذاباً عليه وأكثر ألماً في خروج نفسه [2].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المرضى والطب، باب: ما جاء في كفارة المرض، رقم الحديث(٥٦٦٤).
(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، بدون رقم الطبعة وسنة النشر، ١٠/١٠٧.

المبحث الخامس

الأمر بدعوة الأقارب.

قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

في هذه الآية الكريمة أمر من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم دعوة عشيرته وأهله الأقرب فالأقرب، وفيها إبطال البداءة بغيرهم في الدعوة كما يفعله بعضاً ممن ينتسب للدعاة.

وقد أشار ابن حجر – رحمه الله – للسر في ذلك بقوله : والسر في الأمر بإنذار الأقربين: أولاً: أن الحجة إذا قامت عليهم تعدت إلى غيرهم، وإلا فكانوا علة للأبعدين في الامتناع، وأن لا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطف والرأفة فيحابيهم في الدعوة والتخويف، فلذلك نصّ له على إنذارهم [(١)].

ولعلي أذكر مسألة في هذا الباب لبيان المقصود فمن الدعاة من قد يصعب عليه دعوة أقاربه وأهله حيث يجد منهم الامتناع وعدم الاستجابة له فينتقل إلى دعوة غيرهم وهذا إن أقام عليهم الحجة وحاول معهم فلا بأس، ومن الشواهد على ذلك دعوة نوح عليه السلام لابنه.

قال ابن كثير رحمه الله –: دعا نوح ولده يام عند ركوب السفينة أن يؤمن ويركب معهم ولا يغرق كما يغرق الكافرون، فاعتقد بجهله أن الطوفان لا يبلغ إلى رؤوس الجبال، وأنه لو تعلق في رأس جبل لنجاه ذلك من الغرق، فأخبره والده بأن لا شيء يعصم اليوم من عذاب الله تعالى، فأبى وغرق على كفره رغم محاولات نوح عليه السلام لهدايته وإيمانه [(٢)].

وبالتالي فالاستحسان والاجتهاد المخالف المقصود هنا هو ما نراه من بعض الدعاة أنه لم يكلف نفسه يوماً دعوة أهله وعشيرته، ثم يقطع المسافات ويخرج من بلده

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٨/٥٠٣.
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/٢٨٠.

لأجل الدعوة تاركاً خلفه أمه وأباه أو زوجته وأولاده أقرب الناس إليه وأحقهم وأولاهم بدعوته، بغير دعوة أو نصح وإرشاد منشغلاً عنهم بدعوة غيرهم مخالفاً بذلك أمر الله تعالى ودعوة رسوله صلى الله عليه وسلم.

المبحث السادس

النهي عن الجدال

قال تعالى: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

لاشك أن الجدال مذموم في الشريعة إلا بالتي هي أحسن قصد بلوغ الحق وقبوله، وبالتالي فالآية إذن فيها إبطال للجدال الذي استحسنه كثير من الناس اليوم بل واجتهدوا في استخدامه أسلوباً وسبيلاً للدعوة وإيصال الحق كما يزعمون، دون النظر في كيفية إيصاله والإقناع به فالأهم عندهم أن ينتصروا ويفوزوا على مناظريهم وهذا لا شك أنه خلاف المنهج الصحيح؛وإنما هو باب شر ينتج عنه تشويه لصورة الدعوة خصوصاً والإسلام عموماً والكراهية والعداء بين الداعي والمدعو.

يقول الشافعي رحمه الله-: ما ناظرت أحدًا قطُّ فأحببت أن يُخطئ، وما كلمت أحدًا قطُّ وأنا أبالي أن يبين الله الحق على لساني أو على لسانه، وما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها مني إلا هبته، وانعقدت محبَّتُه، ولا كابرني أحد على الحق ودفع الحجة، إلا سقط من عيني ورفضته، وما كلمت أحداً قط، إلا أحببته أن يوفق ويسدد، ويعان ويكون عليه رعاية من الله وحفظ [(١)].

وقد حثَّ النبي صلى الله عليه وسلم على ترك المراء والجدال في جميع الأحوال، فقال: ((أنا زعيمٌ ببَيْتٍ في رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَن ترَك المِراءَ، وإنْ كان مُحِقًّا))[(٢)]، وربض الجنة؛ يعني: أسفل الجنة.

يقول ابن الجوزي رحمه الله-: أول ما تجب البداءة به: حسن القصد في إظهار الحق طلبًا لما عند الله تعالى، فإن آنس من نفسه الحيد عن الغرض الصحيح

(١) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون رقم الطبعة، ١٤٠٩هـ، ١١٧/٩.
(٢) رواه أبو داوود في السنن، رقم الحديث: (٤٨٠٠)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ٢٥٣/٤، وقال الألباني: حديث حسن.

فليكفَّها بجهده، فإن ملكها، وإلا فليترك المناظرة في ذلك المجلس، وليتق السباب والمنافرة؛ فإنهما يضعان القدر، ويكسبان الوزر، وإن زل خصمُه، فليوقفه على زلله، غير مخجل له بالتشنيع عليه، فإن أصر أمسك،

إلا أن يكون ذلك الزلل مما يحاذر استقراره عند السامعين،فينبههم على الصواب فيه بألطف الوجوه[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: أما الجدلُ فلا يدعى به، بل هو من باب دفع الصائل؛ فإذا عارض الحق معارض جودل بالتي هي أحسن [2].

خاتمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، وسار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأحمد الله تعالى وأثني عليه الخير كله، فهو أهل الثناء والمجد، على ما وفق وسدد، وأعان وأرشد، على القيام بإنهاء هذا البحث المختصر، ومن أهم النتائج التي توصلت لها:

١- إن الدعوة إلى الله لا يصلح فيها الاستحسان والاجتهاد إلا ما كان مبنياً عليه الدليل.

٢- أنه يجب على الداعية ألا يدعو إلا على علم، ويسعى لاكتساب العلم والمعرفة بما يدعو إليه بملازمة العلماء والأخذ عنهم والدعوة بدعوتهم.

٣- إن أهم أسباب الجهل والضرر بالدعوة الدعوة بلا علم وبصيرة.

(١) الايضاح، ابن الجوزي، تحقيق: محمود بن محمد السيد الدغيم، مكتبة مدبولي، ط: الأولى، ١٤١٥هـ، ص:.

(٢) انظر: الرد على المنطقيين، ابن تيمية، دار المعرفة، بيروت، يدون رقم الطبعة،بدون سنة الطبع، ٤٦٨.

٤- إن الدعوة بالقصص والأمثال الواردة في القرآن وصحيح السنة والآثار فيها كفاية وقنية عن الدعوة بالغرائب والخيالات.

٥- إن البدء بدعوة الأقارب منهج رباني سار عليه وسلكه بأمر من ربه عز وجل نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم يجب إتباعه والسير عليه.

٦- أن يبتعد الداعية عن الجدال في الدعوة إلا ما كان بالتي هي أحسن،وما دعت الحاجة إليه.

ونسأل الله العلي القدير أن يلهمنا الرشد والصواب، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

توصيات البحث:

في ضوء النتائج التي تم التوصل إليها:

- يوصي البحث العلمي بضرورة عمل ندوات بصفة مستمرة لتقوية الوازع الديني لدى الناس، وأيضًا تصحيح صورة الدعوة بأنها لا تحتاج إلى استحسانات.
- يوصي البحث بضرورة التقرب إلى مصادر موثوق فيها لأخذ أي معلومات دينية.
- ضرورة علم الداعي أن وظيفته توصيل الرسالة بشكل سليم كما أنزله الله عز وجل بدون زيادة أو نقص، وأن يعلم الجدال يكون بالحسنى.
- يوصي البحث العلمي بنشر ثقافة الشروط التي يجب توافرها لكي يصبح الشخص داعيًا.
- يوصي البحث بضرورة ادخال ثقافة التوعية بخطر انتشار هذه الظاهرة في الدعوةوالأخذ بالمنهج الصحيح.

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

- القرآن الكريم.

ثانياً : المراجع :

- الألباني.(١٤٠٥هـ). إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. ط٢. المكتب الإسلامي، بيروت.
- الفوزان، صالح. (١٤٢٣هـ). إعانة المستفيد. ط٣.مؤسسة الرسالة. الرياض.
- ابن كثير. (١٤٠٧هـ). البداية والنهاية. دار الفكر، بيروت.
- الزركشي. (د.ت).البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعرفة، بيروت.
- العنزي، عزيز فرحان. (١٥٢٦هـ)البصيرة في الدعوة إلى الله. ط١. تقديم: صالح آل الشيخ. دار الإمام مالك.أبو ظبي، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ.
- ابن كثير. (١٤١٩هـ) . تفسير القرآن العظيم. ط١ . دار الكتب العلمية. بيروت.
- ابن الجوزي. (١٤٢١هـ). تلبيس إبليس. دار الفكر. بيروت.
- السعدي. (١٤٢٠ هـ). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق: عبد الرحمن اللويحق. مؤسسة الرسالة. بيروت.
- البخاري.(١٤٢٢هـ). الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. ط ١. تحقيق: محمد محمد بن زهير الناصر.دار طوق النجاة. بيروت.
- ابن الجوزي. (١٤١٥هـ) . الايضاح. ط ١. تحقيق: محمود بن محمد السيد الدغيم.مكتبة مدبولي.

- الأصبهاني، أبوالنعيم. (١٤٠٩هـ). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. دار الكتب العلمية. بيروت.
- ابن عثيمين. (١٤١٢هـ) . زاد الداعية إلى الله . ط١. دار الثقة. مكة المكرمة.
- سنن أبي داود. (١٤٣٠هـ).تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرونط١. دار الرسالة العالمية. بيروت.
- سنن الترمذي. (١٤١٠هـ). بدون عنوان. تحقيق: بشار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي. بيروت.
- ابن عثيمين. (١٤٢٦هـ) .شرح رياض الصالحين. دار الوطن. الرياض.
- العسقلاني، ابن حجر. (د.ت).فتح الباري شرح صحيح البخاري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار المعرفة. بيروت.
- فتاوي ومقالات الشيخ باز(١٤١٥هـ).مجلة الدعوة. عدد١٤٦٩.
- ابن تيمية. (١٤١٦هـ).مجموع الفتاوى. تحقيق: ابن قاسم.مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.المدينة المنورة.
- عبد الوهاب، محمد. (بدون سنة للنشر).مسائل الجاهلية، ط ٢. دار طويق. الرياض.
- مسند الإمام أحمد. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون.ط ١. مؤسسة الرسالة. بيروت.
- الجوزية، ابن قيم. (بدون سنة للنشر).مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة،ط ١. دار الكتب العالمية. بيروت.
- الألباني، ناصر الدين. (د.ت). مناسك الحج والعمرة. ط١، دار المعارف.